العدد 12A مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية شبـــاط 2026
No. 12A Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences February 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

تأثير التاريخ المعاصر في بناء السلام – خطاب نيلسون مانديلا أنموذجًا

ا.م.د دنيا فاروق العمر
كلية الآداب – جامعة البصرة
dunya.salih@uobasrah.edu.iq

الملخص

يُعد التاريخ المعاصر شاهدًا حيًّا على تحولات عميقة شهدتها الشعوب، ولا سيما تلك التي عانت من الظلم والاستعمار والتمييز العرقي. في هذا السياق، تتجلى أهمية توظيف التجربة التاريخية في بناء مستقبل قائم على السلام والتسامح والمصالحة. ومن بين أبرز النماذج العالمية التي عكست هذا التوظيف الواعي للتاريخ، يبرز نيلسون مانديلا، زعيم جنوب إفريقيا، الذي تمكّن من تحويل معاناة بلاده تحت نظام الفصل العنصري (الأبارتايد) إلى أساس راسخ لبناء مجتمع ديمقراطي قائم على المساواة والعدالة. لقد شكّل خطاب مانديلا بعد خروجه من السجن عام 1990، ثم خلال فترة رئاسته (1994–1999)، علامة فارقة في مسار بناء السلام، ليس فقط في جنوب إفريقيا، بل في العالم أجمع. فقد اعتمد مانديلا في خطابه على الذاكرة التاريخية المشتركة، مستحضرًا المعاناة والنضال، لا بهدف التحريض أو الانتقام، بل لتأكيد الحاجة إلى التسامح والمصالحة، وتحقيق الوحدة الوطنية. إن ما يميز خطابه هو قدرته على تجاوز الماضي دون إنكاره، وتحويل الألم إلى قوة ناعمة توحّد المختلفين وتلهم الشعوب. يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل أثر التاريخ المعاصر في دعم خطاب السلام، متخذًا من خطابات نيلسون مانديلا أنموذجًا تطبيقيًا. ويركز على الكيفية التي سخّر بها مانديلا تجربة النضال ضد الأبارتايد لصياغة خطاب سياسي جامع، يسعى من خلاله إلى بناء مستقبل خالٍ من التمييز والكراهية. ومن خلال تحليل خطبه، لاسيما خطابه عند خروجه من السجن (1990)، وخطابه في مراسم تنصيبه رئيسًا (1994)، يسلّط البحث الضوء على مفردات الخطاب، ورمزيته، وسياقه التاريخي، وأثره المحلي والعالمي. وتكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على الترابط بين الذاكرة التاريخية وبناء السلام، وتبيان كيف يمكن لخطاب متجذّر في التجربة التاريخية أن يوجّه المجتمعات نحو الاستقرار والعدالة الانتقالية، لا سيما في دول تعاني من الانقسامات العرقية والسياسية. كما أن استحضار تجربة مانديلا يُقدّم دروسًا مهمة للدول الخارجة من الصراعات، حول دور القيادة الواعية في تجاوز الماضي دون تجاهله. من هنا، يسعى البحث للإجابة عن مجموعة من التساؤلات الجوهرية، منها: •كيف استثمر مانديلا التاريخ المعاصر في خطابه لبناء السلام؟ •ما هي الأدوات الرمزية واللغوية التي وظفها لتجاوز الانقسامات؟ •وكيف يمكن تعميم هذا النموذج على سياقات أخرى حول العالم؟ إن دراسة خطاب نيلسون مانديلا في ضوء التاريخ المعاصر لا تكتفي بإبراز دوره كزعيم سياسي، بل تسعى إلى استخلاص ملامح مشروع إنساني عالمي، يقوم على الاعتراف بالماضي وبناء المستقبل المشترك، ويُعيد الاعتبار لفكرة أن السلام الدائم لا يتحقق إلا عبر الوعي العميق بالتاريخ.

الكلمات المفتاحية : بناء السلام، الذاكرة التاريخية، نيلسون مانديلا، لجنة الحقيقة والمصالحة، فلسفة أوبونتو، أمة قوس قزح.

The Impact of Contemporary History on Peacebuilding – Nelson Mandela's Discourse as a Model

Dr. Dunya Farooq ALomer
College of Arts - University of Basrah
dunya.salih@uobasrah.edu.iq

Abstract

Contemporary history stands as a living witness to the profound transformations experienced by nations, particularly those that have suffered from injustice, colonialism, and racial discrimination. In this context, the importance of

employing historical experience to build a future based on peace, tolerance, and reconciliation becomes evident. Among the most prominent global models reflecting this conscious employment of history is Nelson Mandela, the leader of South Africa, who managed to transform his country's suffering under the Apartheid system into a solid foundation for building a democratic society based on equality and justice. Mandela's discourse following his release from prison in 1990, and subsequently during his presidency (1994–1999), constituted a milestone in the path of peacebuilding, not only in South Africa but across the world. Mandela relied in his discourse on shared historical memory, evoking suffering and struggle not for the purpose of incitement or revenge, but to affirm the need for forgiveness, reconciliation, and the achievement of national unity. What distinguishes his discourse is his ability to transcend the past without denying it, transforming pain into a soft power that unites those who differ and inspires nations. This research examines and analyzes the impact of contemporary history on supporting peace discourse, taking Nelson Mandela's speeches as an applied model. It focuses on how Mandela harnessed the experience of the struggle against Apartheid to craft an inclusive political discourse that seeks to build a different future, free from discrimination and hatred. By analyzing his speeches, particularly his address upon his release from prison (1990) and his presidential inauguration speech (1994), the research highlights the vocabulary of the discourse, its symbolism, its historical context, and its local and global impact. The importance of this study lies in highlighting the interconnection between historical memory and peacebuilding, and demonstrating how a discourse rooted in historical experience can guide societies toward stability and transitional justice, especially in countries suffering from ethnic and political divisions. Furthermore, evoking Mandela's experience offers important lessons for countries emerging from conflict regarding the role of conscious leadership in overcoming the past without ignoring it. Hence, the research seeks to answer a set of fundamental questions, including: How did Mandela invest contemporary history in his discourse to build peace? What are the symbolic and linguistic tools he employed to overcome divisions? How can this model be generalized to other contexts around the world? Studying Nelson Mandela's discourse in light of contemporary history does not merely highlight his role as a political leader; rather, it seeks to extract the features of a global humanitarian project based on acknowledging the past and building a shared future, reaffirming the idea that lasting peace can only be achieved through deep historical awareness.

Keywords: Peacebuilding, Historical Memory, Nelson Mandela, Truth and Reconciliation Commission – TRC, Ubuntu Philosophy, Rainbow Nation.

المقدمة: الإطار النظري للتداخل بين الذاكرة التاريخية وبناء السلام

إن عملية الانتقال من حالة الصراع المستعصي إلى حالة السلم المستدام لا تقتصر على مجرد وقف إطلاق النار أو توقيع الاتفاقيات السياسية بين النخب الحاكمة، بل هي عملية إعادة هندسة اجتماعية ونفسية عميقة

تتطلب معالجة جذور الذاكرة الجمعية وتفكيك المقولات العدائية. كما تشير الأدبيات الأكاديمية المعاصرة في مجال دراسات السلام وحل النزاعات إلى أن المجتمعات الخارجة من حروب أهلية أو أنظمة قمعية مؤسسية تواجه تحدياً وجودياً يتمثل في الذاكرة المتنازع عليه، ففي حين يرى أحد أطراف النزاع تاريخاً من النضال البطولي والتحرر، قد يرى الطرف الآخر التاريخ ذاته كسلسلة من التهديدات الوجودية أو "الإرهاب" الذي يستهدف هويته وبقاءه[1].

أن الانتقال من مرحلة "الحرب الباردة" (حيث يتوقف العنف المباشر مع بقاء العداء النفسي) إلى مرحلة السلام الحقيقي (حيث يسود التعاون والثقة المتبادلة) يتطلب تفكيك الروايات التاريخية الإقصائية وبناء رواية وطنية جديدة تستوعب آلام الجميع وتاريخهم، دون الوقوع في فخ المساواة الأخلاقية بين الجلاد والضحية، وفي هذا السياق، يُعد النموذج الجنوب أفريقي، وتحديداً الخطاب السياسي لنيلسون مانديلا، دراسة حالة نموذجية عالمية لكيفية استخدام التاريخ، والذاكرة، والرموز الثقافية الأصيلة (مثل فلسفة أوبونتو) [2] لإعادة تشكيل الهوية الوطنية وتحويل العدو من الآخر المطلق إلى الشريك في الوطن[3].

ومن خلال هذا البحث نحاول ان نقدم تحليل للقضايا المعقدة التي حكمت استخدام التاريخ في بناء السلام في جنوب أفريقيا. عن طريق دراسة في البنية الخطابية لمانديلا، والآليات المؤسسية مثل لجنة الحقيقة والمصالحة (TRC) [4]، والأسس الفلسفية والقانونية المستمدة من التراث الأفريقي، وصولاً إلى الانتقادات الاقتصادية والاجتماعية الحادة التي وجهت له، والذي فيه غلّب السلم الأهلي على العدالة الاقتصادية الجذرية، مما خلق إرثاً متنازعاً عليه حتى اليوم.

المبحث الاول: من الذاكرة الإقصائية إلى الذاكرة المشتركة

تعد الذاكرة الجماعية، وفقاً لهالواكس(Halbwachs) [5] ومن تبعه من المنظرين المعاصرين، وعاءً للهوية الجماعية ومحدداً للسلوك السياسي. في حالات الصراع طويل الأمد، تصبح الذاكرة سلاحاً استراتيجياً؛ إذ يتم بناء روايات الضحية (Victimhood) وتمجيد العنف الدفاعي، مما يؤدي إلى تجميد الصراع في العقول، حتى لو توقف في الميدان. كما تشير الأبحاث النفسية-الاجتماعية إلى أن المجموعات المتصارعة

---

(1) Mariska Kappmeier, Aurélie Mercy, The Long Road from Cold War to Warm Peace: Building Shared Collective Memory Through Trust, Journal of Social and Political Psychology, 2019, Vol. 7, p. 198.

(2) فلسفة اوبونتو: هي فلسفة أخلاقية تؤكد الترابط بين البشر وتشجع على الاحترام، الرحمة، التضامن، والمشاركة داخل المجتمع، للمزيد من المعلومات، ينظر:
فاطمة محمود توفيق بنداري، رؤية العدالة في الثقافات الافريقية نموذج فلسفة الابونتو، مجلة الدراسات الافريقية، العدد(٥٠)، ج٢، يونيو ٢٠٢١، ص٦٥.

(3) Jodi Hal pern, Harvey M. Weinstei, Rehumanizing the Other: Empathy and Reconciliation, Journal of HUMAN RIGHTS QUARTERL, 2004, vol.26, p. 563.

(4) لجنة الحقيقة والمصالحة (TRC): هي مؤسسة قضائية وهيئة وطنية انشآت جنوب افريقيا عام ١٩٩٥ بعد انتهاء نظام الفصل العنصري (ابارتايد) للمزيد من المعلومات، ينظر:
عبد الحليم بوقرين، سالم حوة، لجان الحقيقة والمصالحة كالية لتحقيق المصالحة والسلام: لجنة الحقيقة والمصالحة لجنوب افريقيا، مجلة طبنة للدراسات العلمية الاكاديمية، رقم(٢)، مج٢، ٢٠١٩، ص٢٨٥.

(5) موريس هالواكس(Halbwachs) (١٩٤٥- : هو عالم اجتماع فرنسي بارز يعد من اهم المفكرين الذين اسسوا الذاكرة الجماعية في علم الاجتماع وللمزيد، ينظر:
علي عبد الحفيظ مرسي، مشكلة الوعي الثقافي الجمعي: رؤية تطورية لنظريات (الذاكرة الجمعية) عند كل من موريس هاليفاكس ويان اسمن، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، مج٢٨، عدد (٢٨)، مصر، ٢٠١٩، ص١٤.

تطور "ذاكرة تنازعية" تغذي عدم الثقة وتبرر استمرار العداء، مما يجعل أي محاولة للسلام هشة وقابلة للانهيار [6].

أن التدخل الناجح لبناء السلام يتطلب إذابة هذه الروايات المتصلبة عبر ضخ معلومات جديدة تعيد أنسنة الآخر .وقد لعب نيلسون مانديلا دوراً محورياً في هذه العملية، ليس من خلال محو التاريخ أو الدعوة للنسيان الساذج، بل من خلال إعادة تأطير (Reframing) التاريخ. فبدلاً من السردية الثنائية التقليدية "البيض المستعمرين ضد السود الضحايا" فقط، قام مانديلا بصياغة سردية أوسع حول "تحرير الظالم والمظلوم معاً" من عبء نظام الفصل العنصري اللاإنساني الذي جرد الجميع من إنسانيتهم [7].

فضلاً عن ذلك توضح الدراسات أن الحوارات التي تتناول التاريخ والذاكرة ليست مجرد تمارين أكاديمية للنخب، بل هي أدوات نفسية-اجتماعية لتغيير الصور النمطية العميقة، ففي حالة جنوب أفريقيا، لم يكن الحوار التاريخي مقتصراً على الغرف المغلقة، بل تم عبر لجنة الحقيقة والمصالحة (TRC) لتكون عملية تطهير وطنية. ومع ذلك، فإن نجاح هذا الحوار يعتمد بشكل كبير على الثقة؛ إذ يناقش كابماير وميرسي (Kappmeier & Mercy)بأن بناء ذاكرة مشتركة لا يمكن أن يتم دون مسار موازٍ لبناء الثقة بين المجموعات، وهو ما عمل عليه مانديلا ببراعة عبر لفتات رمزية وسياسية مدروسة [8].

ولفهم تأثير التاريخ في بناء السلام، يجب العودة إلى لحظة المفصل التاريخي في 11 شباط 1990، يوم إطلاق سراح مانديلا من سجن فيكتور فيرستر. في تلك اللحظة، كانت جنوب أفريقيا تقف على حافة الهاوية؛ فالنظام العنصري كان مفلساً أخلاقياً ويعاني من عقوبات اقتصادية خانقة، بينما كانت المقاومة السوداء في حالة غليان وصل إلى مرحلة اللاعودة[9].

في خطابه الأول بعد 27 عاماً من السجن، واجه مانديلا تحدياً استراتيجياً وبلاغياً هائلاً وهو كيف يوازن بين الحفاظ على شرعية الكفاح المسلح (الذي كان ركيزة هوية المؤتمر الوطني الأفريقي والسبب في سجنه) وبين فتح الباب للمفاوضات السلمية مع العدو؟ تظهر التحليلات الخطابية المعمقة لخطاب 1990 أن مانديلا لم يتنازل عن التاريخ النضالي ولم يظهر بوصفه حمامة سلام مستسلمة.

لقد صرح بوضوح وحزم: "**إن لجوءنا للكفاح المسلح في عام 1960 وتشكيل الجناح العسكري (أومكونتو وي سيزوي) كان إجراءً دفاعياً بحتاً ضد عنف الفصل العنصري. العوامل التي استدعت الكفاح المسلح لا تزال قائمة اليوم، وليس لدينا خيار سوى الاستمرار.**" [10]

هذا الموقف، الذي يمكن وصفه نظرياً بـ السياسة الأغونية[11] – (Agonistic Politics) أي الصراع السياسي الذي يعترف بالخصم بوصفه عدو شرعي يتم التفاوض معه بندية وليس عدو يجب إبادته. لذا لم

---

(6) Mariska Kappmeier, Aurélie Mercy, The Long Road from Cold War to Warm Peace: Building Shared Collective Memory Through Trust, Journal of Social and Political Psychology, 2019, Vol. 7, p. 200.

(7) https://www.nobelprize.org/prizes/peace/1993/mandela/article/

(8) Sara Dybris McQuaid, HISTORICAL DIALOGUES, COLLECTIVE MEMORY WORK, AND THE (DIS)CONTINUATION OF CONFLICTS, p. 705.

(9) https://history.blog.gov.uk/2020/02/11/whats-the-context-the-release-of-nelson-mandela-11-february-1990/

(10) https://southafrica-info.com/history/nelson-mandela-timeline/attachment/nelson-mandela-release-from-jail-11-february-1990/

(11) السياسة الاغونية: هي نظرية سياسية تقول ان الصراع والخلاف بين الجماعات امر طبيعي وصحي في الديمقراطية وليس شيئاً يجب القضاء عليه بل تنظيمه ليكون صراع سليم وقائم على الاعتراف المتبادل وليس عداء يهدف للإلغاء او التدمير وتعود هذه النظرية الى المفكرة السياسية البلجيكية (شانتال موف) وللمزيد، ينظر:
محمود اشرف امين، ياسر عبد المنصف قنصوه، التصارعية وحدود الليبرالية، المجلة العلمية بكلية الاداب، جامعة طنطا، عدد (٤٨)، مج ٢٠٢٢، يوليو ٢٠٢٢، طنطا، ص ٥٣٠.

يحاول مانديلا تجميل التاريخ فوراً أو تقديم وعود كاذبة بالاستسلام، بل استخدم "التهديد التاريخي" (استمرار الكفاح المسلح) كأداة ضغط لإجبار نظام الرئيس **دي كليرك** على تفكيك الفصل العنصري فعلياً، وليس شكلياً[12].

هذا يثبت أن بناء السلام يتطلب أحياناً التلويح بأدوات الصراع التاريخية كرافعات للتفاوض الحقيقي.

بعد ذلك كانت ردود الفعل داخل المجتمع الأبيض في جنوب أفريقيا تجاه إطلاق السراح وخطاب مانديلا مزيجاً معقداً من الرعب الوجودي، والإنكار، وبدايات الأمل الحذر.

ولفهم هذا السياق، يجب النظر إلى الدور الذي ادته وسائل الإعلام البيضاء والتي منها صحف النظام الناطقة بالأفريكانية مثل *Die Burger* وصحيفة *The Citizen* اليمينية التي صورت مانديلا لعقود كـ "إرهابي شيوعي" يهدف لرمي البيض في البحر[13].

- **صحيفة The Citizen:** استقبلت الإفراج بتشكيك وحذر، محذرة من الفوضى، وعكست مخاوف اليمين المتطرف الذي رأى في الإفراج خيانة من قبل دي كليرك[14].
- **صحيفة Die Burger:** رغم ولائها للحزب الوطني الحاكم، بدأت تتبنى لهجة أكثر براغماتية، مروجة لفكرة أن الإصلاحات ضرورية لتجنب مصير أسوأ (مثل الحرب الأهلية الشاملة)، ومهدت الطريق لقرائها لقبول "الحتمي."[15]

تشير استطلاعات الرأي والتحليلات التاريخية لتلك الفترة (شباط 1990) إلى أن الغالبية العظمى من البيض كانوا يدركون أن العقوبات الاقتصادية والعزلة الدولية (وهي نتاج مباشر لتاريخهم القمعي) كانت دافعاً رئيسياً للإفراج عن مانديلا. وهذا الإدراك البراغماتي "للمصلحة الاقتصادية" كان المدخل الذي استغله مانديلا لاحقاً بذكاء لتقديم المصالحة ليس كـ "هزيمة عسكرية" للبيض، بل "تحرير اقتصادي وأخلاقي" لهم من وضع الدولة[16].

المبحث الثاني: استراتيجيات مانديلا الخطابية: بلاغة المصالحة وإعادة بناء الهوية

يُعد خطاب تنصيب مانديلا في 10 مايو 1994 تحفة بلاغية في مجال بناء السلام، ونقطة تحول جذرية في تاريخ الخطابة السياسية الأفريقية. فقد استخدم مانديلا استراتيجيات بلاغية دقيقة تعتمد على مثلث الإقناع الأرسطي :المصداقية، العاطفة، والمنطق، لتفكيك مخاوف الأقلية البيضاء وتحقيق تطلعات الأغلبية السوداء في آن واحد[17].

- **المصداقية الأخلاقية:** استمد مانديلا مصداقيته الهائلة من تاريخه الشخصي بوصفه ضحية لم تسعَ للانتقام رغم امتلاكها القدرة والمبرر لذلك. فعندما يقول مانديلا: **"لقد حان وقت مداواة الجراح"**[18]، فإن الكلمات

---

(12) Scott, Catherine V., Mandela Is Freed, https://www.ebsco.com/research-starters/history/mandela-freed

(13) https://www3.gmu.edu/programs/icar/pcs/vander~1.htm?gmuw-rd=sm&gmuw-rdm=ht

(14) Adam Jones, From Rightist to "Brightest"?The Strange Tale of South Africa's Citizen, Journal of Southern African Studies, 24: 2 (June 1998), pp. 325-45.

(15) Hendrik W. van der Merwe, FACILITATION AND MEDIATION IN SOUTH AFRICA:THREE CASE STUDIES, https://www3.gmu.edu/programs/icar/pcs/vander~1.htm?gmuw-rd=sm&gmuw-rdm=ht

(16) https://ropercenter.cornell.edu/nelson-mandela

(17) Rida Khan, Dr. Hafiz Javed ur Rehman, Language, Power, and Ideology: A Critical Discourse Analysis of Nelson Mandela's Speeches, Journal for Social Science Archives,Vol. 3, No.4, 2025, P. 166 – 173.

(18) محمود النوبي، سحر زهران، محمد فؤاد، رحيل مانديلا رمز النضال والتسامح قصة حياة امير القلوب وايقونة المصالحة في العالم، جريدة الاهرام، ٧ ديسمبر ٢٠١٣، السنة ١٣٨، العدد/ ٣٧٨، ص ٤٦.

تحمل ثقلاً استثنائياً لأنه هو "الجريح" الأكبر الذي قضى 27 عاماً خلف القضبان. هذا الاستخدام لرأسماله الرمزي جعل المعارضة الأخلاقية لدعوته للمصالحة أمراً صعباً للغاية حتى على أشد معارضيه.

- **الاستمالة العاطفية**: استخدم لغة عاطفية شاملة وتوحيدية، مستخدماً ضمائر الجمع "نحن" و"شعبنا" لدمج البيض والسود في هوية جمعية جديدة. وعباراته الشهيرة في خطاب التنصيب: "**فليكن هناك عمل، خبز، ماء وملح للجميع** "، تخاطب الحاجات الإنسانية والبيولوجية الأساسية التي يشترك فيها جميع البشر بغض النظر عن العرق، متجاوزة بذلك الانقسامات الأيديولوجية والسياسية. لقد حول الاحتفال السياسي إلى "احتفال بالحياة" نفسها.

- **الحجة المنطقية:** ربط مانديلا منطقياً بين الاستقرار الاقتصادي والمصالحة السياسية، مقنعاً النخب البيضاء وقطاع الأعمال بأن أمنهم المالي ومستقبل استثماراتهم مرتبط عضوياً بإنهاء الفصل العنصري وقبول الديمقراطية. كانت رسالته الضمنية: "**لا اقتصاد قوي بدون سلم اجتماعي.**"[19]

استعارة أمة قوس قزح الرمزية[20]

رغم أن المطران ديزموند توتو هو من صك مصطلح "أمة قوس قزح"، إلا أن مانديلا هو من أعطاه القوة السياسية والتداولية في خطاباته الرسمية، واصفاً جنوب أفريقيا في خطابه الرئاسي الأول بأنها "أمة قوس قزح في سلام مع نفسها ومع العالم."[21]

من الناحية النظرية والتحليلية، عملت هذه الاستعارة كـ أداة إسكات وظيفية بالمعنى الإيجابي والسلبي، فقد سمحت بجمع التناقضات العرقية في إطار جمالي واحد دون فرض الذوبان القسري، فالألوان في القوس قزح تبقى متمايزة لكنها تشكل وحدة هارمونية.

الا ان بعض النقاد الأكاديميين مثل نيفيل ألكسندر[22](Neville Alexander) يناقش هذه الاستعارة بانها كانت ضرورية في المرحلة الأولى لمنع الحرب الأهلية، لكنها لاحقاً أصبحت عائقاً خطيراً أمام معالجة الفوارق الاقتصادية والسبب هو أنها توحي بـ تعددية ثقافية سطحية تخفي تحتها تفاوتات طبقية عميقة موروثة من التاريخ، مما جعل الحديث عن "العرق" و"الامتياز الاقتصادي" أمراً غير مستحب في ظل نشوة القوس قزح.

كما حذر المفكر الجنوب أفريقي والمناضل السابق في جزيرة روبن، نيفيل ألكسندر (Neville Alexander)، من أن خطاب أمة قوس قزح تحول إلى أداة تخدير، إذ يرى ألكسندر أن هذا الخطاب عزز الهويات العرقية بدلاً من تفكيكها (لأن القوس قزح يتكون من ألوان منفصلة لا تختلط)، وفشل في بناء هوية وطنية حقيقية قائمة على المصالح الطبقية المشتركة.

وفقاً لهذا النقد الجذري، فإن استخدام مانديلا للرموز والذاكرة كان ناجحاً تكتيكياً في تجنب الحرب الأهلية في التسعينيات، لكنه فشل استراتيجياً في بناء "الأمة" بالمعنى العضوي، تاركاً المجتمع منقسماً في مشاكل اقتصادية وعرقية، إذ يتم استخدام المصالحة لإسكات المطالب المشروعة بإعادة توزيع الثروة[23].

---

(19) تحليل بلاغي لخطاب نيلسون مانديلا. (١٧ ايلول ٢٠٢٤). مأخوذ من https://hub.papersowl.com/examples/rhetorical-analysis-of-nelson-mandelas-speech/

(20) يرمز الى التنوع العرقي، الثقافي، اللغوي والديني وقد وصفه توتو لمجتمع متعدد الأعراق والثقافات موحد بعد الابارتايد، للمزيد، ينظر: عبد الحسين شعبان، ديزموند وقوس قزح، صحيفة الخليج، ٥ يناير، ٢٠٢٢.

(21) Dr. Jennifer Riggan, The Rainbow Nation Vision, p. 3-5.

(22) وهو مفكر وعالم لغوي وناشط سياسي متخصص في الدراسات اللغوية والسياسية معروف بمساهماته في تعزيز العدالة اللغوية، الهوية الثقافية، والمصالحة الوطنية بعد الابارتايد، وللمزيد، ينظر: Ar.wikipdia.org.

(23) Pumla Dineo Gqola, Defining people: Analysing power, language and representation in metaphors of the New South Africa, http://digital.lib.msu.edu/projects/africanjournals

ان صراع "نزع الإنسانية "هو المحرك الأساسي للعنف والإبادة وقد واجه مانديلا هذا التحدي عبر استراتيجية "إعادة الأنسنة" الممنهجة. لم يكتفِ بالعفو عن سجّانيه، بل دعاهم ليكونوا ضيوف شرف في حفل تنصيبه، وجلسوا في الصفوف الأمامية.

في خطابه وتحركاته، لم يصف نظام الفصل العنصري بأنه نتاج شر البيض الفطري والجيني، بل وصفه نظام سياسي أنتج كارثة إنسانية أضرت بالجميع (البيض والسود). هذه الاستراتيجية، التي يسميها علماء النفس الاجتماعي "التمييز بين الفاعل والفعل"، سمحت للبيض بالانفصال النفسي عن النظام البائد دون الشعور بتهديد وجودي لهويتهم الشخصية، مما سهل انخراطهم في النظام الجديد.[24]

الفلسفة الأفريقية "أوبونتو" بوصفها أصل تشريعي وسياسي

ادت فلسفة "أوبونتو" الأفريقية دوراً حاسماً وتأسيسياً في تأطير عملية بناء السلام تاريخياً وقانونياً في جنوب أفريقيا. والمفهوم الذي يُترجم غالباً في اللغات الغربية بـ "أنا موجود لأننا موجودون "أو "الإنسان لا يكون إنساناً إلا عبر الآخرين"، يتجاوز النزعة الفردية الغربية ويركز على الترابط الوجودي العميق بين البشر.

في السياق الجنوب أفريقي، لم تكن "أوبونتو" مجرد شعار فلكلوري، بل تم إدراجها بجرأة قانونية في "خاتمة الدستور المؤقت لعام 1993، والذي نص صراحة على عبارة تاريخية: "**هناك حاجة للتفاهم وليس للانتقام، حاجة للتعويض وليس للثأر، حاجة لأوبونتو وليس للإيذاء** "[25]

هذا النص الدستوري وفر الغطاء القانوني والفلسفي اللازم للمحكمة الدستورية في قضايا مثل إلغاء عقوبة الإعدام في قضية ولمنح العفو للمرتكبين مقابل الحقيقة في لجنة المصالحة. كان هذا يمثل خروجاً عن المنطق القانوني الغربي التقليدي الذي يركز فقط على العقاب(Retributive Justice) ، نحو منطق أفريقي تصالحي.

توظيف مانديلا لـ "أوبونتو" في الخطاب العام

استخدم مانديلا "أوبونتو" بذكاء لربط العدالة الانتقالية بالجذور الثقافية للأغلبية السوداء، مما منح التنازلات السياسية الصعبة (مثل عدم محاكمة جنرالات الفصل العنصري) شرعية أخلاقية وشعبية. لقد صور المصالحة ليس كضعف أو استسلام، بل كتعبير أسمى عن القيم الأفريقية الأصيلة.

في خطابه الشهير عند استلام التقرير النهائي للجنة الحقيقة والمصالحة في عام 1998، أكد مانديلا أن "أوبونتو" هي الروح التي يجب أن تسود لضمان عدم تكرار الماضي، رابطاً بين الاعتراف بالحقيقة (مهما كانت بشعة ومؤلمة) وبين استعادة الكرامة الإنسانية للجميع. قال مانديلا: "**الجراح يجب أن تُفتح وتُنظف لكي تشفى**"، معتبراً ذلك تجسيداً لروح أوبونتو التي ترفض نفي الآخر، حتى لو كان عدواً.[26]

كما تعد لجنة الحقيقة والمصالحة (TRC) التطبيق العملي والمؤسسي الأبرز لاستخدام التاريخ في بناء السلام في القرن العشرين. وقد واجهت جنوب أفريقيا خيارين تقليديين: إما محاكمات على غرار نورمبرغ (عدالة عقابية للمهزومين)، وهو ما كان مستحيلاً لأن النظام لم يُهزم عسكرياً، وإما فقدان الذاكرة الجماعي والعفو العام دون حساب، وهو ما رفضه الضحايا.

---

(24) Peter Rule, Nelson Mandela and Dialogic Lifelong Learning, Pre-publication version of chapter published in In C. Soudien (2017), p. 31-44.

(25) Dikgang Moseneke, A Journey from the Heart of Apartheid Darkness Towards a Just Society: Salient Features of the Budding Constitutionalism and Jurisprudence of South Africa, T his publication is the written version of the thirty-second annual Philip A. Hart Memorial Lecture, delivered at Georgetown University Law Center on April 4, 2012, p.

(26) http://www.mandela.gov.za/mandela_speeches/1998/981029_trcreport.htm

اختارت جنوب أفريقيا، بقيادة مانديلا وتوتو، الطريق الثالث: نموذج العدالة الترميمية، وقد استندت فلسفة اللجنة على فكرة أن كشف الحقيقة والاعتراف بها هو شكل من أشكال العدالة بحد ذات، فقد كان المبدأ الثوري للجنة هو العفو المشروع، اي لا عفو بدون اعتراف كامل وكان على الجاني أن يقف أمام الضحايا وأمام الأمة (عبر البث التلفزيوني المباشر) ويسرد تفاصيل جرائمه بالكامل لكي يحصل على العفو[27].

وقد قامت اللجنة بجمع أكثر من 20,000 إفادة من الضحايا، مما خلق أرشيفاً ضخماً وحياً للذاكرة الوطنية. أتاح هذا للمجتمع "الاستماع" لمعاناة الآخر بشكل غير مسبوق، مما كسر حاجز الإنكار لدى البيض الذين ادعوا لسنوات أنهم لم يعرفوا ما كان يحدث.

سعت اللجنة لخلق ما يسمى "ذاكرة مشتركة" عبر إجبار الجناة (من البيض والسود، بما في ذلك أعضاء المؤتمر الوطني الأفريقي على الاعتراف بفظائعهم في نفس المنتدى العام. وهذا قد ساوى -إجرائياً وليس أخلاقياً- بين جميع من انتهكوا حقوق الإنسان، مما رسخ مبدأ أن حقوق الإنسان فوق الجميع[28].

دور مانديلا الحاسم في حماية استقلالية اللجنة

واجهت اللجنة تحديات قانونية وسياسية هائلة، وأخطرها جاء من داخل حزب مانديلا (ANC) نفسه. قبيل إصدار التقرير النهائي في عام 1998، إذ حاول قادة في المؤتمر الوطني الأفريقي منع نشره قضائياً لأن التقرير اتهم الحزب أيضاً بارتكاب انتهاكات حقوقية في معسكراته في المنفى.

هنا برز الدور التاريخي لمانديلا بوصفه رجل دولة يترفع عن الحزبية؛ حيث أصر على قبول التقرير بكامله وحضر حفل استلامه، مؤكداً على استقلالية اللجنة وشرعية نتائجها مهما كانت قاسية على حزبه. هذا الموقف رسخ مبدأ دستورياً جوهرياً في الديمقراطية الجديدة: "لا أحد فوق الحقيقة"، وهو درس جوهري في بناء السلام المستدام.

رغم النجاح السياسي والدبلوماسي الهائل لنموذج مانديلا، الا انه يواجه إرثه اليوم انتقادات أكاديمية وشعبية متزايدة الحدة، تتركز حول فكرة "المصالحة بلا عدالة اقتصادية". يجادل أكاديميون ونشطاء يساريون، أبرزهم باتريك بوند[29] (Patrick Bond) والوزير السابق روني كاسريلز[30](Ronnie Kasrils) ، بأن مانديلا وفريقه الاقتصادي قدموا تنازلات اقتصادية مفرطة للرأسمالية العالمية والمحلية، فيما وصفوه بـ "الصفقة الفاوستية".

وتشير هذه الانتقادات إلى تحول مانديلا الجذري بعد حضوره منتدى دافوس الاقتصادي عام 1992. فبعد أن كان من دعاة التأميم (وفق ميثاق الحرية)، عاد مانديلا مقتنعاً بضرورة تبني سياسات السوق المفتوحة وتطمينه للمستثمرين الأجانب وسداد ديون نظام الفصل العنصري .يرى النقاد أن هذا التحول أدى إلى حماية الثروة المتراكمة للبيض، وترك الهياكل الاقتصادية للفصل العنصري (مثل ملكية الأرض والمناجم) دون

---

(27) Laura Mc Leod, Reconciliation through Restorative Justice: Analyzing South Africa's Truth and Reconciliation Process, https://www.beyondintractability.org/library/reconciliation-through-restorative-justice-analyzing-south-africas-truth-and-reconciliation

(28) Rod Tuazon, Identity in Context: Examining South Africa's Truth and Reconciliation Commission, https://www.collegesoflaw.edu/blog/2019/01/08/trc-south-africa-study-abroad/

(29) باتريك بوند: وهو اكاديمي واقتصادي وناشط سياسي جنوب افريقي متخصص في الاقتصاد السياسي للقارة الافريقية للمزيد، ينظر:
باتريك بوند، مجلة بدايات، العدد ٣-٤، خريف ٢٠٢١، جنوب افريقيا.

(30) وهو سياسي وناشط جنوب افريقي بارز، ناضل ضد نظام الابارتايد، شغل عدة مناصب حكومية وللمزيد، ينظر:
يحيى غانم، روني كاسريلز: حان الوقت لتغيير حق الفيتو الذي يحمي إسرائيل، الجزيرة نت، ١٢/١٧ /٢٠٢٤.

مساس، مما أدى إلى استمرار الفقر المدقع بين السود وتفاقم عدم المساواة، لتصبح جنوب أفريقيا اليوم الدولة الأكثر انعداماً للمساواة في العالم. [31]

ويقدم الأكاديمي الأوغندي البارز محمود ممداني نقداً بنيوياً عميقاً لمنهجية لجنة الحقيقة والمصالحة. إذ يرى ممداني أن اللجنة افردت الضحايا والجناة، وحصرت "الحقيقة" في الانتهاكات الجسدية الجسيمة (التعذيب، القتل) التي قام بها أفراد محددون

وفقاً لممداني، أدى هذا النهج إلى تجاهل "الضحايا المستفيدين أي ملايين البيض الذين لم يقتلوا أحداً بأيديهم، لكنهم استفادوا وراكموا ثرواتهم من نظام الفصل العنصري الهيكلي (العمالة الرخيصة، سرقة الأراضي، التعليم المتميز). بحسب هذا النقد، فإن اللجنة كتبت تاريخاً "مختزلاً" للحقيقة، إذ برأت ساحة المجتمع الأبيض كطبقة اجتماعية، وحصرت "الشر" في قلة من رجال الشرطة والسياسيين، مما أعفى البيض من المسؤولية الأخلاقية والمادية عن إصلاح الظلم التاريخي[32].

الخاتمة

1. يُظهر التحليل الشامل لتأثير التاريخ المعاصر في بناء السلام، من خلال عدسة التجربة المانديلية، أن الذاكرة ليست مجرد سجل أرشيفي للماضي، بل هي ساحة معركة سياسية حية وأداة وظيفية فعالة في هندسة المجتمع. لقد نجح مانديلا، عبر خطاب مدروس ومؤسسات مبتكرة مثل لجنة الحقيقة والمصالحة، في تحويل الذاكرة من قوة دافعة للانتقام إلى مورد للمصالحة.
2. لم يطمس مانديلا التاريخ، بل استخدمه للاعتراف بشرعية مخاوف جميع الأطراف. اعترف بتاريخ معاناة السود، وفي الوقت ذاته اعترف بمخاوف البيض الوجودية، مما خلق مساحة للتفاوض.
3. كان استخدام مفهوم "أوبونتو" ضربة معلم سياسية وقانونية، إذ وفرت إطاراً محلياً أصيلاً لتبرير التنازلات المؤلمة (مثل العفو)، مما جعل العملية تبدو بوصفها حل أفريقي وليس وصفة غربية مستوردة.

4. إن تغليب السلام السياسي على العدالة الاقتصادية، والتركيز على الحقيقة الجنائية بدلاً من الحقيقة الاجتماعية، ترك جنوب أفريقيا اليوم رهينة لتفاوتات طبقية هائلة قد تهدد استدامة السلم الذي بناه مانديلا.

5. ان الرموز الوطنية (مثل قوس قزح) لها عمر افتراضي؛ إذا لم يتم دعمها بإصلاحات هيكلية ملموسة في حياة الناس اليومية (التعليم، السكن، الأرض)، فإنها تتحول مع الوقت إلى أدوات للسخرية والاغتراب السياسي، كما نرى اليوم في خطاب جيل الشباب الجنوب أفريقي مثل حركة "المناضلون من أجل الحرية الاقتصادية

---

(31) https://www.weforum.org/stories/2013/12/nelson-mandela-leader-icon-friend/

(32) Mahmood Mamdani, Amnesty or impunity? A preliminary critique of the Report of the Truth and Reconciliation Commission of South Africa, Published online by Cambridge University Press: 05 June 2012.